سوسيولوجيا الحياة اليومية في المدرسة الجزائرية

لعدة قرون كان التعليم الرسمي وقفا على قلة قليلة من الناس ممن تتوافر لديهم الوقت والدعم المالي، وفي كثير من الأقطار ما زالت الكتب والمطبوعات المنسوخة عالية التكلفة وبعيدة المنال.

في بلادنا التي ورثت عن الاستعمار ما ينيف عن 97% أميا من عامة الشعب الجزائري، اجتهد صناع القرار لكي يُلمّ الجميع بالقراءة والكتابة على الأقل، وأن يحظى الجميع بنفس القدر من فرص التربية والتعليم، عبر قوانين من قبيل مجانية وإجبارية التعليم وكذا إلزامية الحضور، فأنفقت بلا هوادة، حيث بنت المدارس وجهزت الأقسام والمخابر، وعربت المناهج وأطّرت الأساتذة، بل واستقدمت آخرين من الخارج ... وكان الأمل معقودا على جيل من الشباب الواعد الطموح.

جيل كانت في عهده المدرسة رمزا للإشعاع الفكري والثقافي، حيث كان المعلم صادقا في كل ما يقول وصائبا في كل ما يفعل، وكان التلميذ مثالا للطاعة والاحترام والتقدير والتبجيل، فيما كان المدير تنتظم على وقع خطواته الصفوف، ويقف التلاميذ احتراما له كلما دخل حجرة الدرس، ...

بيد أن المدرسة الجزائرية اليوم تتحول إلى هيكل مترنح، أثقلته المشكلات وأتعبه سوء التقدير، فبات الحديث عن المدرسة هو حديث عن جرائم القصر أو إضرابات المعلمين أو فضائح الغش أو انزلاقات المناهج الدراسية ... حتى أننا بالمخبر تلقينا ما ينيف عن 370 مقترح بحث حول المدرسة، شكّل العنف بكل صوره (الرمزي، البدني، اللفظي، والأخلاقي ...) أزيد من 63% من مقترحات البحث، وكأن العنف هو إحدى وظائف المدرسة الجزائرية، إضافة إلى وظيفة التعليم والتأطير المعرفي والتهذيب السلوكي والتنميط الاجتماعي والحفاظ على التراث العلمي والثقافي للمجتمع.

أصبح المعلم مادة دسمة لصياغة النكت والنوادر الاجتماعية، والمدرسة نقطة عبور للحصول على شهادة إثبات المستوى، بينما التلميذ يهدد الجميع بالقانون المليء بالثغرات، والمدير ضحية ضغط يمارسه المعلم والتلميذ والمجتمع،... والكل في ذلك ضحايا.... لتغيب المهنة النبيلة في أتون فوضى تماهي الأدوار، وتضارب المصالح، الأمر الذي دعا مخبر التغير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر إلى الخوض في سوسيولوجيا الحياة اليومية في المدينة الجزائرية من منظورات متعددة، يحاول كل منظور مقاربة الواقع على طريقته، من خلال النبش في زواياه المتعددة، حيث كتب من **جامعة سوق اهراس أ.د الطيب الصيد** مقالا بعنوان: **" تحليل سوسيولوجي للمدرسة الجزائرية وعلاقتها ببيئة التفاعل الاجتماعي"**، حيث كتب قائلا بأن المؤسسة التعليمية تقع في مركز النسيج الاجتماعي، وهي بمثابة مصنع اعادة إنتاج المجتمع بشتى صوره، إذ تحتل موقع المركز في النقاش السياسي العام حول مصير المجتمع وخصائص الأجيال في ضوء توفير الوسائل البيداغوجية لصالح نظام اجتماعي معطى.

وتحت عنوان **"تمثلات تلاميذ الثالثة ثانوي "الجدد والمعيدين لإدارة الزمن""** ومن **جامعة قسنطينة** كتب **د.عبد العزيز بن عبد المالك** مقالا حول الزمن التعليمي الذي يعد من أهم العناصر الأساسية في تحديد نتائج العملية التربوية وإحدى دعامات التحديث والتغيير. وشكلا من أشكال الرفع من المردودية البيداغوجية والجودة في الأداء مما يسمح بضمان منتوج ذي نوعية عالي، ذلك أن مفهوم الزمن يفيد في كثير من معانيه تنظيم وتدبير الحصص السنوية والأسبوعية واليومية لأنشطة المتعلم الفكرية والمهارية والعلائقية، بحيث يراعي هذا التنظيم الصحة الجسمية والنفسية للتلميذ محدثا توازنا وظيفيا يساعد في استقبال ومعالجة مختلف المعارف، وفي سياق متصل ومن **جامعة سكيكدة** كتبت **د. حكيمة أوشنان** مقالا يحيلنا مباشرة إلى الفكر السوسيولوجي **لبيار بورديو** تحت عنوان: **"الحقل المدرسي وإعادة إنتاج مواضيع غير ظاهرة وأخرى واقعية"**، حيث تقول بأنه قد يحدث وتتعرض المدرسة لممارسات و ظواهر تخدش قدسيتها وحرمتها، ما دفع الباحثين على اختلاف تخصصاتهم العلمية للانكباب عليها ودراستها، من مختلف الزوايا، فمرة

باعتبارها نتاج صراع علائقي وتفاعلي بين الفاعلين التربويين، تحدث نتيجة الشعور بالألم والتهميش وحتى الإقصاء والأذى، ومرة باعتبارها نتاج عدة عوامل متداخلة أسرية، نفسية، اجتماعية وحتى اقتصادية وسياسية. ورغم أن هذه الظاهرة كانت دائما موجودة لكن ما تغير هو كيفية النظر إليها، حتى باتت من المواضيع الواقعية المفروضة في مرحلة زمنية معينة، مثل الشباب المخدرات، الفساد، الإرهاب، التكنولوجيا. ليتم بذلك استبعاد بعض المواضيع غير الظاهرة رغم تحريكها للعنف في المدارس، مثل التمييز الإقصاء، المحاباة، الجهوية، لأن المدرسة ظلت تنتجها ولا تزال تعيد إنتاجها، وكمثال على ذلك كتبت من **جامعة بسكرة** الأستاذة الهادئة الرزينة صاحبة الخطوات الواثقة **د.سليمة سايحي** مقالا بعنوان: **"التنمر المدرسي: مفهومه، أسبابه، طرق علاجه"** حيث تحدثت عن المشاكل التي تحدث في الخفاء والتي تؤثر سلبا على المتعلمين، ومن بينها ما يسمى بسلوك التنمر، والذي يؤثر على الطالب نفسه في جميع المجالات وعلى زملائه ومن ثم على النظام المدرسي بشكل عام، وقد أصبحت هذه الظاهرة أكثر شيوعا في ظل عصر العولمة، والانفجار المعرفي وثورة الاتصالات والمعلومات، وكمثال لما رصدته **د.حكيمة أوشنان** دائما، كتبت من **جامعة خنشلة د.سعيدة بن عشي** حول **"الأطفال وتعاطي المخدرات في المدرسة الجزائرية"**، إذ قالت بأن ظاهرة تعاطي المخدرات وإدمانها أصبحت ظاهرة تستوفي شروط الوباء، او كما يقول بعض العلماء السيدا الجماعية، نظرا لقابليتها الكبيرة للانتشار والتوسع، خاصة مع ظهور مستحضرات وطرائق جديدة للتعاطي والأخطر من ذلك انخفاض سن التعاطي: إذ أصبح الأطفال بما فيهم المتمدرسين ضمن قائمة المتعاطين مما يزيد من تعقيد الأمر نظرا للخصائص الفيزيولوجية والجسمية والعقلية والنفسية والاجتماعية المميزة لمرحلة الطفولة.

بينما تسلك منحى آخر من **جامعة الشلف د. رفيقة يخلف** بمقال ذي عنوان **"آليات تفعيل التوظيف الديداكتيكي في المادة الدراسية من اجل تفعيل العلاقة بين الطالب والمدرس"**، إذ تمثل المادة التدريسية إحدى ركائز العقد الدياكتيكي في العملية التعليمية، لكن المعرفة التدريسية لها خصائص وأهداف وبرامج واستراتيجيات يجب معرفتها لكي تصل إلى الطالب، وتفاعل الطالب مع المادة الدراسية هو تفاعل مع المدرس، وهذا ما

يطلق عليه مصطلح ديداكتيك المادة التدريسية، وقد استعرضت الباحثة أفكارها من خلال العناصر الآتية:

- ماهية الديداكتيك.

- آليات توظيف ديداكتيكي في المادة التدريسية.

- أهمية تطبيق استراتيجيات ديداكتيك المادة التدريسية في تفعيل العلاقة بين المدرس والطالب.

وعطفا على نفس الموضوع كتبت من **جامعة بسكرة د.هناء برجي** ورقة بحث تحت عنوان **"تأثير العلاقة بين المعلم والأسرة على التفوق الدر اسي للتلميذ"**، حيث بدت ت أهميتها من خلال الكشف عن تأثير العلاقة بين المعلم والأسرة على التفوق الدراسي للتلميذ بالمرحلة الابتدائية بولاية بسكرة(الجزائر)، نظرا لما لها من تأثير كبير يمس المنظومة التعليمية بصفة عامة والتلميذ بصفة خاصة، وعلى النقيض من التفوق كتب **د.نبيل حميدشة** من **جامعة سكيكدة** عن العنف مقالا بعنوان: **"العنف في المؤسسة التربوية هل هو خلل في وظيفة مؤسسات التنشئة أم لا توافق مؤسسي"**، إذ أسهب في سرد علاقة الإنسان بالعنف من خلال مختلف المظاهر، ليفضي به الحديث إلى التركيز على العنف الممارس في المؤسسات التربوية من حيث أشكاله وأسبابه و آليات الحد منه، إذ تساءل عن العنف، هل هو خلل في وظيفة القائمين على العملية التربوية، أم هو لا توافق بين الفرد والمؤسسة التربوية نتيجة التشريعات والقوانين الناظمة للعملية التربوية، أم هو ناتج عن عدم التساند الوظيفي بين مختلف المؤسسات التربوية. وفي سياق متصل شاركت **د.هناء شريفي** من **جامعة الجزائر2** عن موضوع الاستقواء بورقة عنوانها **"تحليل ظاهرة الاستقواء (Bullying) في المدرسة الجزائرية"**، حيث سعت إلى فهم ظاهرة السلوك الاستقوائي بشكلٍ عام لدى المراهقين المتمدرسين ،والكشف عن نسب انتشار الاستقواء في مرحلة التعليم المتوسط، والتعرف إلى أشكاله السائدة بين المراهقين المتمدرسين، وتتمثل أهمية الدراسة في زيادة وعي الأسرة التربوية بخطورة هذا النوع من السلوك العدواني مما يخلفه من أثار سلبية على الأمن والاستقرار النفسي للمتمدرس ومدى تأثيرها في المنظومة التربوية.

واستكمالا للأزمة الأخلاقية التي أضحت المدرسة مسرحا لها، كتبت الأستاذة **أم الخير شقرانة** من **جامعة أم البواقي** مقالا بعنوان: "**التحرش الجنسي في الوسط المدرسي وتأثيره على التفاعل الاجتماعي داخل المدرسة**"، حيث تناولت ظاهرة التحرش الجنسي، والتأثير الذي تحدثه على عملية التفاعل الاجتماعي دخل الوسط المدرسي، ساعية إلى الكشف عما يحدث داخل الثانويات، حيث أفضت إلى مجموعة من النتائج من بينها أن أكثر أنواع التحرش انتشارا هو التحرش اللفظي وغير اللفظي، وبنسب ضئيلة جدا نجد التحرش الجسدي، وان أغلبية المتحرشين من فئة التلاميذ تليهم فئة العمال وأخيرا الأساتذة. وغير بعيد عن هذا السياق كتبت الأستاذة **رقية وافي** من **جامعة بسكرة** ورقة بعنوان: "**دلالات العنف الرمزي كما يدركها التلاميذ وعلاقتها بإنجازهم الأكاديمي**" حيث سعت الى التعرف على طبيعة العلاقة بين دلالات العنف الرمزي كما يدركه التلاميذ وانجازهم الأكاديمي، وخلصت إلى أن أكثر دلالات العنف الرمزي ظهورا واتساما في المحيط المدرسي حسب إدراك التلاميذ له هي العلاقة بن المعلم والمتعلم والتقييم التعسفي، بالإضافة الي وجود علاقة ارتباطية دالة احصائية بين دلالات العنف الرمزي ومجالات الانجاز الأكاديمي، وايضا اظهرت النتائج وجود فروق دالة احصائيا بين التلاميذ المنجزين وغير المنجزين في إدراكهم لدلالات العنف الرمزي. ومن **جامعة جيجل** كتب أحد طلبتي النجباء **د.سمير أبيش** مقالا بعنوان: " **تصورات التلاميذ للمواصفات والخصائص الواجب توفرها في أساتذتهم**"، إذ أنه لاحظ عند بداية كل موسم دراسي محاولة العديد من التلاميذ الفوز بمقعد داخل صفوف بعض من الأساتذة دون غيرهم وبخاصة لدى أساتذة المواد التي يرون أنها تمثل لهم مواد النجاح المدرسي، ولقد واجهته العديد من هذه الصور خلال عمله كمستشار سابق في إحدى المؤسسات التعليمية، أين كان التلاميذ يقدّمون العديد من طلبات تحويل الأقسام عند بداية كل موسم ولقد كانت وجهتهم في الغالب أقسام محددة، بل وكان الأمر يتعدّى ببعضهم استعمال الوساطات الخارجية والاستنجاد بأولياء أمورهم من أجل الضغط على الإدارة لتمكينهم من التحويل، وأمّا التلاميذ الذين لم يتمكنوا من تحقيق مرادهم في ذلك كانوا يلتحقون بهؤلاء الأساتذة في الدروس الخصوصية التي يقدمونها خارج المؤسسة، في حين نجد أن هذا الفعل لا يحدث مع أساتذة آخرين بل نجد نفورا من التلاميذ نحو العديد منهم،

بينما كتبت **الأستاذة نورة مزوزي** من **جامعة بسكرة** مقالا يحمل عنوان: **"البيئة الصفية المادية وعلاقتها بدافعية الانجاز الأكاديمي لدى تلاميذ المتوسط والثانوي في ولاية بسكرة"** حيث أن البيئة الصفية تُعدّ من البيئات التي يقضي فيها التلميذ معظم أوقاته، وتأسيسا عليه جاءت هذه الدراسة لتبحث في العلاقة بين البيئة الصفية المادية ودافعية الانجاز الأكاديمي لدى تلاميذ المتوسط والثانوي في ولاية بسكرة. وكذا البحث عن ما إذا كانت توجد فروق في البيئة الصفية والدافعية للإنجاز تبعا لمتغير المرحلة التعليمية(متوسط/ثانوي).

من جهة أخرى كتبت من **جامعة بسكرة د.زرفة بولقواس** بمعية الأستاذة المتميزة بالذكاء والمثابرة **سامية منزر** ورقة بحثية بعنوان: **"الإدارة الإلكترونية كتوجه معاصر لترقية الإدارة المدرسية"**، حيث هدفت الورقة البحثية إلى التعرف على دور الإدارة الإلكترونية كاستراتيجية وتوجه إداري معاصر في ترقية وعصرنة الإدارة المدرسية، من خلال عرض مجموعة من النقاط التي يمكن من خلالها معرفة الإدارة الإلكترونية في المجال الإداري المدرسي، وما تستطيع أن تقدمه للإدارة المدرسية لتطويرها ومساعدتها على تقديم خدمات تتوافق والاتجاهات الإدارية المعاصرة. وغير بعيد عن المسائل الإدارية شارك **د.بهاء الدين طويل** من **جامعة باتنة1** بورقة عنوانها: **"دور المقتصد في حياته اليومية داخل المؤسسة التربوية"**، حيث سلط الضوء على واحدٍ من قادة الطاقم التربوي، ممثلاً في المقتصد رئيس مصلحة الاقتصاد، الذي تُشكِل مصلحته أحد جناحي الإدارة في هذه المؤسسات، حيث سعت دراسته إلى إدراك دوره ومهامه اليومية الرامية، لتوفير المناخ المناسب لكافة الفاعلين فيها، من أجل ممارسة نشاطهم بصفة عادية، أين تبين ثقل المسؤولية الموكلة على عاتقه والتي شملت عديد المهام الإدارية والقيادية، مهام تربوية وأخرى مالية ومحاسبية. بينما أدلت عضو المخبر **د.زهية دباب** من **جامعة بسكرة** بورقة عنوانها: **"تكوين المعلمين كأحد متطلبات إصلاح المدرسة الجزائرية"**، حيث أولت العناية لدور المعلم الذي لا يقتصر على الأدوار التقليدية، بل أصبح لديه ادوار متجددة ألزمت إعادة النظر في إعداده لمهنة التعليم أكاديميا، مهنيا وثقافيا وذلك لمسايرة التطورات الحديثة، وهذا ما عملت الجزائر على تجسيده من خلال إصلاحاتها للنهوض بالمدرسة الجزائرية ،وذلك من خلال إدراج دورات

تكوينية إجبارية للمعلمين، تسمح بالتكيف مع المتغيرات التي تحصل على مستوى الوظيفة. أما الأستاذة **رندة شاوي** من **جامعة سطيف2** فقد ساهمت بورقة ذات عنوان: **"المشروع التربوي الجزائري :بين الحداثة التربوية والأزمة التعليمية"** حيث وضحت أن مسألة التربية تحتل حيزا لا يُستهان به من الاهتمام في مجتمعنا، خاصة إذا كان التعليم يستمد أهميته منها باعتباره الورشة الفعلية لتصنيع النموذج الإنساني. وفي ظل التطور التقني وما فرضه من تغيرات لامست شتى المجالات بما فيها المجال التربوي حيث جعلت الوعاء التعليمي بحاجة إلى المساءلة الجذرية للبحث في الأسباب الفعلية لعطالة المنظومة التعليمية في نسقها الثقافي. وإن كان الكثير من الباحثين والمهتمين بهذا الشأن يوعزونها إلى الحداثة التربوية وما فرضته من استتباع ثقافي للآخر معتبرينها من أخطر المزالق الفكرية السائدة حول " المشروع التربوي الجزائري" لما فرضته من هيمنة الكثير من الأطر الإيديولوجية التبسيطية للإشكالية التربوية بمختلف أبعادها حيث تختزل الواقع بأبعاده المتعددة والمتغيرة على حساب النظرة التقييمية للواقع الفعلي سواء كان ذلك على مستوى المرجعيات الفكرية الموجهة والمؤطرة مسبقا بفعل العولمة، أو من حيث منهجيات تحديد المشكلات وحلّها.

كما كتبت خريجة **جامعة بسكرة د.مريم أرفيس** وبشكل عام حول **"الأداء الوظيفي للعاملين بالمنظمة –دراسة نظرية-"**، ذلك أن المنظمة لا تحظى بموقع هام في المجتمع فحسب، وإنما تحظى في علم الاجتماع بقسط وافر من الاهتمام النظري والتطبيقي، ومن نوع آخر من المواضيع أنجز من **جامعة مستغانم الأستاذ محمد بدر الدين سيفي** ورقة بحثية موسومة بـ: **"التربية الجمالية في العلاقة التكاملية بين الأسرة الحضرية والمدرسة الجزائرية"، حيث** تناول مسألة (التربية الجمالية) كمجال من مجالات تربية الطفل المتمدرس، ورصد التمثلات الوالدية حول تمظهرات الذوق الجمالي في البيت الأسري وداخل الحياة المدرسية، محاولا الكشف عما نجهله من ممارسات يومية داخل المدرسة وتحليلها سوسيولوجيا، من خلال البيئة الصفية ومختلف المناهج والبرامج والأنشطة التربوية (الفنية والثقافية) في الفضاء المدرسي؛ مما قد يسهم في فهم وحل الكثير من الإشكالات اليومية داخل المدرسة (كمشكلة العنف

المدرسي مثلا)، قد تؤسس لآليات عملية واستراتيجيات تعلميّة تساعد على بناء تلميذ متزن نفسيًّا، ومندمج اجتماعيًّا، ومتفوق دراسيًّا.

بالجمال والتربية الجمالية يطوي العدد السادس من مجلة التغير الاجتماعي أوراقه، عسى ترسم المدرسة الجزائرية أفقا جميلا وغدا مشرقا للناشئة، يكتسح مساحات العنف والسواد والتنمر والاستقواء، فالحياة وإن بدت رتيبة وكئيبة فهي تحمل الأمل دائما في محافظ التلاميذ ودفاتر المعلمين، فشكرا لكل معلم، وشكرا لمن سعى أن يكون معلما بأوراقه البحثية، والشكر الوافر موصول **للدكتورة فتيحة طويل** التي توجت جهودها في تدريس علم اجتماع التربية بالإشراف على هذا الرصيد المعرفي، بمعية **أد. عبد الرحمان برقوق** الذي ترأس اللجنة العلمية التي قرأت وانتقدت وأثنت على مجموع هذه الأعمال، بعبارة أخرى شكرا لمن ساهم وشكرا لمن فكر في المساهمة.

رئيس التحرير

د.ميمونة مناصرية